

رسائل تربوية
٢



انتصار الحق

كتبها العلامة الشيخ
عبد الرحمن بن ناصر السعدي
المتوفى سنة (١٣٧٦) هجرية

ضبط نصها واعتنى بها
علي حسن علي عبد الحميد
الحلبي الأثري



دار ابن القيم


انتصار الحق



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الطبعة الأولى
١٤٠٨ هـ.



هاتف : ٨٢٦٨٣٤٣ - ص.ب : ١٨٦٥ - الدمام - رمز بريدي : ٣١٩٨٢ - الدمام - جنوب الاستاد الرياضي - المملكة العربية السعودية

رسائل تربوية
(٢)

انتصار الحق

كتبها العلامة الشيخ
عبد الرحمن بن ناصر السعدي
المتوفى سنة (١٣٧٦) هجرية

ضبط نصها واعتنى بها
علي حسن علي عبد الحميد
الحلبي الأثري

دار ابن القيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمدَ للَّهِ نحمَدُه ونستعينُه ونستغفره، ونعوذُ باللَّهِ مِن شرور أنفُسِنا ومِن سيِّئات أَعمالِنا، مَن يهده اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، وَمَنْ يُضْلِلِ فلا هادِيَ له.

وأَشهدُ أنْ لا إلَهَ إلاّ الله وحده لا شريك له.

وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فهذه هي الرسالة الثانية من «سلسلة الرسائل التربويّة» أُقَدّمها لِلإخوةِ القُرَّاء الأَفاضل مَضْبوطةً مُتْقَنَةً إن شاءَ الله، عسى أن يستفيدوا منها بأنفُسِهم، ويُفيدوا غَيْرَهم، لأنها رسائل على صِغَرِ حجمها، وضآلة أوراقِها، حَوَتْ علماً جمّاً، وأَدباً غزيراً، وأخلاقاً فاضلةً، وتحذيراً شديداً وغير ذلك مِمّا ستراه رَأْيَ العين.

وهذه الرسالةُ صاغها كاتبُها رحمه الله إجابةً على سُؤالٍ يطرحُهُ الكثيرُ الكثيرُ من شباب اليومِ الّذين قد بَهَرَتْهم أضواءُ المَدَنِيَّةِ الحديثة، فَلَوَوْا أعناقَهم عن دِينِهِم، ويَمَّمُوا وجوهَهم شَطْرَ هذه المَدَنِيَّةِ التي قطعت جميعَ صِلاَتها بشريعة الله سبحانه، فضلاً عن الأخلاق الفاضلة، والآداب الكاملة.

فتأْتي هذه الرسالةُ لِتُمَثِّل جواباً سَديداً، وقولاً شديداً، يَدُكُّ هذه الشبهةَ الشيطانيّةَ التي قد غَرَّت وتَغُرُّ وستظلُّ تغرُّ مَنْ لم يلتفِتْ إلى بعض الحقائق التي جَلاَّها الكاتب، وبيَّض صفحتَها، فأَيقظتِ الناسم ونَبَّهَتِ الغافِلَ، وذكَّرت العاقلَ، لنصاعةِ حُجَجِها، وقُوَّةِ براهينها.

وكما أسلفتُ: حَوَتْ هذه الرسالة[1] معارفَ كثيرةً ونَبَّهتْ على قضايا وفيرة، أهمّها:

- الرفقة الصالحة، وخَطَر البُعد عنها.
- الاغترار بما عليه الكُفّار من مظاهرَ خدَّاعة، وفساد ذلك.

---

(١) وكاتبُ الرسالة هو الإمام الشيخ العلاّمة عبدالرحمٰن بن ناصر السَّعْدي، من أئمّة نجد المعاصرين له من المُؤلّفين البارعين، والعلماء المخلصين، له نحو ثلاثين كتاباً، توفي رحمه الله سنة (١٣٧٦)، وقد تكلّمتُ على حياته طويلاً في مقدّمة «طريق الوصول إلى العلم المَأْمول» له رحمه الله، يسّر اللَّهُ إتمام تحقيقه بمنِّه وكَرَمه.

- صعوبةُ التوبة على النفس الّتي غرّرها الشيطان.
- أهمية الرجوع إلى الحقِّ.
- عظمة الدين الإسلامي وفَضل التوحيد.
- ضعف ما عليه المخالفون لشريعة الله من خُلُق وعلم.
- واجبات المسلم التي يُمليها عليه دينُه.
- أثر نِعَم الله على العَبْد.
- أهميّة الشُّكر لله سبحانه.
- قيمة الإنفاق ابتغاءَ مرضاةِ الله وانعكاس ذلك على المُنْفِق.
- ثمرة الإيمان الصحيح على صاحبه.
- أدواء النُّفوس وأدويتُها.
- بيان العلم النافع، والعلم الفاسد.
- فضل الوفاءِ للصاحب وإنْ غَيَّرَتْه الدُّنيا..

هذه صورةٌ مُصَغَّرَةٌ لِمَا حَوَتْه هذه الرسالةُ المبارَكَةُ من مَبَاحثَ تَرَبِّي النَّفْسَ، وتَهَذِّبُ الأَخلاقَ، وتَزيدُ الإيمان وتنفع الناس.

فاللَّهَ العظِيمَ أسأَلُ أنْ يُوَفِّقَنا لِمَا فيه هُدَاه، وَأَن يكتب لنا الأَجْرَ والثواب، إنه نِعْم المولى ونِعْم النّصِير.

صبيحة يوم الأحد: ١٤ جمادى الأولى
سنة ١٤٠٨ هـ الموافق ١٩٨٨/١/٣ م

كتبه
أبو الحارث الحلبي الأَثَريّ

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمدَ لله نحمَدُهُ ونستعينُهُ ونستغفرُهُ، ونعوذُ باللَّهِ مِن شُرور أنفُسِنا ومِن سيِّئاتِ أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضلل فلا هادي له.

وأشهدُ أنّ لا إله إلاَّ اللَّهُ.
وأشهدُ أنّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ.

أمّا بعدُ:

فهذه صورةُ مُحاورةٍ بينَ رَجُلَينِ كانا مُتَصاحِبَيْنِ رَفِيقَيْنِ مُسْلِمَيْنِ يَدِينان بالدِّينِ الحقِّ، وَيَشْتَغِلاَنِ في طَلَب العلمِ جميعاً، فغابَ أحدُهُما عن صاحبِهِ مُدَّةً طويلةً، ثُمَّ الْتَقَيا، فإذا هٰذا الغَائبُ قد تغيَّرَتْ أحوالُهُ، وتبدّلَتْ أخلاقُه، فسألَه صاحبُهُ عن ذلك؟ فإذا هو قَدْ تَغَلَّبت عليه دِعايةُ المُلحدين الّذين يَدْعون لِنَبْذِ الدِّينِ وَرَفْضِ ما جاءَ به المُرْسَلون.

فَحَايَله صاحِبُهُ وقَلَّبَهُ[1] لعلّه يـرجعُ عن هـذا الانقلابِ الغريبِ، فَأَعْيَتْهُ الحِيلَةُ في ذلك، وعَرَفَ أنّ ذلك عِلَّةٌ عظيمةٌ ومَرَضٌ يفتقر إلى استئصالِ الدَّاءِ ومُعالَجَتِهِ بـأنفعِ الـدواءِ، وَعَرَفَ أنّ ذلك مُتَـوَقِّفٌ على مَعرِفـةِ الأسبابِ التي حَـوّلته، والطُّرُقِ التي أَوْصَلَتْه إلى هذه الحالةِ المُخيفةِ وإلى فَحْصِها وتمحيصِهـا وتخليصِها وتـوضيحِها ومُقـابَلَتِهـا بمـا يُضـادُّهـا ويَقْمَعُها على وجهِ الحكمةِ والسدادِ.

فقال لصاحبه مُسْتكشفاً له عن الحاملِ له على ذلك:

يا أَخي ما هذه الأسبابُ التي حَمَلَتْكَ على ما أَرى؟ وَمَا الذّي دَعَاك إلى نَبْذِ ما كُنْتَ عليهِ؟ فـإنْ كان خيراً كنتُ أَنا وأنتَ شَريكَيْن، وإن كان غَيْرَ ذلك فأعْرِف من عقلِكَ ودينِكَ وأَدَبِكَ أَنّني ِ وأنتَ لا نَرْضى أَنْ تُقِيمَ على ما يَضُرُّك!.

فأجابَه صاحبُهُ قائلاً:

لا أَكْتُمُكَ أَنّي قَدْ رَأَيْتُ المُسْلِمينَ على حالةٍ لا يَرْضَاها ذَوُو الهِمَم العليَّةِ:

---

(١) يُريد: حاول معه بشتّى الوسائل (ع).

رأيتُهم في جَهْلٍ وذُلٍّ وخُمولٍ، وأُمورُهُمْ مُدْبِرةٌ، وأحوَالُهمْ سَيِّئةٌ، وأخلاقُهم مُنْحَلَّةٌ وقد فَقَدوا رُوحَ الدِّينِ والدُّنْيا جميعاً، ورأيتُ في الجانبِ الآخَر هؤلاءِ الأجانبَ قد تَرَقَّوْا في هذهِ الحياةِ، وَتَفَنَّنُوا في الفُنُونِ الراقيةِ، والمُخْتَرَعَاتِ العَجيبةِ المُدْهِشَةِ، والصِّناعاتِ المُتَفَوِّقة، فرأَيتهُم قد دانَتْ لهم الأُمَمُ، وخَضَعَتْ لهم الرِّقابُ، وصاروا يَتَحَكَّمون في الأُمَمِ الضعيفةِ بما شاؤوا وَيَعُدُّونهم كالعبيدِ والأُجَراء، فرأيتُ فيهم العِزَّ الذي بَهَرَني، والتَّفَنُّنَ الذّي أَدْهشني، فقلتُ في نفسي: لولا أَنّ هؤلاء القومَ هُمُ القومُ، وأنّهم على الحقِّ والمُسلمون على الباطلِ لَمَا كانوا على هذا الوَصْفِ الذي ذكرتُ لك، فرأيتُ أنّ سلوكي سبيلَهم واقْتِدائي بهم خيرٌ لي وأحسنُ عاقبةً، فهذا الذي صَيَّرني إلى ما رأيتَ!.

فَقَالَ له صاحبُهُ حين أَبدى ما كان خافِياً:

إذا كانَ هٰذا هو السَّبَبَ الذي حَوَّلك إلى ما أَرى فهذا ليسَ من الأسبابِ التي يَبْني عليها أُولو الألبابِ والعُقُولِ عقائدَهم وأخلاقَهم وأعمالَهم ومستقبلَ أمرِهم، فاسْمَعْ يا صَديقي تَمْحِيصَ هذا الأمر الذي غَرَّك وحقيقتَه:

إنّ تأخُّرَ المُسْلِمينَ ـ فيما ذكرتَ ـ ليسَ ناشِئاً عن دينِهم،

فـإنّه قد عَلِمَ كُلُّ مَنَ له أدنى نَظَرٍ وبصيرةٍ أنّ دينَ الإسلامِ يدعو إلى الصَّـلاحِ والإصلاح في أُمـورِ الدينِ، وفي أُمـورِ الدنيَا، ويحثُّ على الاستعـدادِ، مِنْ تَعَلُّمِ العلومِ والفنونِ النافعةِ، ويدعو إلى تقويةِ القُوَّةِ المعنويّـةِ والـماديّـةِ لِمُقاومـةِ الأعداءِ، والسَّلامةِ من شَرِّهم وأضرارهم، ولـم يَسْتَفِدْ أحـدٌ منفعةً دنيويةً فَضْلاً عن المنافعِ الدينيّة إلاّ مِن هذا الدينِ.

وهٰذهِ تعاليمُهُ وإرشاداتُهُ قائمةٌ لدينا تُنادي أهلَهـا: هَلُمَّ إلى الاشتغالِ بِجميعِ الأسباب النافعةِ التي تُعْلِيكم وتُرَقِّيكم في دينِكم ودنياكم!.

أَفِبَتَفْريطِ المُسْلِمين تحتجُّ على الدِّينِ؟!..

إنّ هذا لَهُوَ الظلمُ المبينُ!.

أليس مِن قُصورِ النَّظَرِ ومن الهوى والتعصُّبِ، النَّظَرُ في أحـوالِ المسلمينِ في هـذهِ الأوقـاتِ التي تَـدَهْـوَرَتْ فيهـا علومُهم وأعمالُهم وأخلاقُهم، وفَقَـدوا فيها جميـعَ مُقَوِّمـاتِ دينِهم، وتَـرْكُ النَّظَرِ إليهم في زَهـرةِ الإسـلامِ والـدِّينِ في الصَّدْرِ الأوّل، حيثُ كانـوا قائِمينَ بـالدِّينِ، مُسْتَقِيمين على الدِّين، سَالِكين كُلَّ طريقٍ يدعو إليه الدينُ، فارْتَقَتْ أخلاقُهم وأعمالُهم حتى بَلَغَتْ مَبْلِغاً ما وَصَل إليه ولن يَصِلَ إليه أحدٌ

من الأوّلين والآخِرين ودانت لهم الدُّنيا، من مشارِقِها إلى مغارِبِها، وَخَضَعَتْ لهم أقوى الأُمَم، وذلك بالدِّين الحقِّ والعدلِ والحكمةِ والرحمةِ، وبالأوصافِ الجميلةِ التي كانوا عليها!؟.

أليس ضعفُ المسلمينَ في هذه الأوقاتِ يُوجِبُ لأهلِ البصائرِ والنجدةِ منهم أنْ يكونَ جِدُّهم ونشاطُهم وجهادُهم الأكبرُ مُتَضَاعِفاً ويَقوموا بِكُلِّ ما في وُسْعِهِم لِيَنالوا المقاماتِ الشامخةَ وَلِيَنْجُوا من الهُوَّةِ العميقةِ التي وقعوا فيها؟.

أليس هذا من أفرضِ الفرائضِ وألزمِ اللازماتِ في هذا الحال؟.

فالجهادُ في حال قُوَّةِ المسلمينَ وكثرةِ المُشارِكين فيه له فَضْلٌ عظيمٌ يفوقُ سائرَ العباداتِ، فكيفَ إذا كانوا على هذه الحالةِ التي وَصَفْتَ؟.

فإنّ الجهادَ لا يُمْكِنُ التعبيرُ عن فضائلهِ وثمراتِهِ، ففي هذه الحالِ يكونُ الجهادُ على قِسمين:

أحدهما: السعيُ في تقويمِ المسلمينَ، وإيقاظِ هِمَمِهِمْ وَبَعْثِ عزائِمِهِم، وتعليمِهِم العلومَ النافعةَ، وتهذيبِهِم بالأخلاقِ الراقيةِ، وهذا أشقُّ الأَمْرَينِ وهو أنفعُهما وأفضلُهما.

والثـاني: السعيُ في مُقاوَمـةِ الأعداءِ، وإعـدادِ جميعِ العُدَدِ القوليّةِ والفعليّةِ والسياسيّة الداخليّة والخارجيّة لِمُناوَأتِهم والسلامةِ من شَرِّهِم!.

أَفَحِينَ صارَ الأَمْرُ على هذا الوصفِ الذي ذَكَرْتَ، وصار الموقفُ حَرِجـاً تَتَخلّى عن إخْوانِـكَ المُسْلمين وتتخلّف مَعَ الجُبَنَاءِ والمُخالفين؟.

فكيف مَعَ ذلك تنضمُّ إلى حِزْبِ المُحارِبين!...

اللّهَ اللّهَ يا أخي لا تَكُنْ أَقَلَّ مِمَّنْ قِيل فيهم: ﴿**تَعالَوا قَاتِلُوا في سَبيلِ اللّهِ أوِ ادْفَعُـوا**﴾[1] قاتِلوا لأجـلِ دينِكم أوِ ادْفَعوا لِأَجْلِ قَوْمِكم وَوَطَنِكم!.

لا تَكُـنْ مِثْلَ هؤلاءِ المنافقينَ، فَأُعيذك يا أخي مِن هذه الحالِ التي لا يَرْضاها أهلُ الديـاناتِ، ولا أَهْـلُ النَّجْداتِ والمُروءاتِ.. فهل تَرْضى أنْ تُشارِكَ قَوْمَك في حالِ عِزِّهم وقُوَّةِ عُدَدِهم وعُنْصُرِهم، وتُفارِقَهم في حالِ ذُلِّهم ومَصَائِبِهم، وَتَخْذُلَهم في وقتٍ اشْتَدَّتْ فيه الضرورةُ إلى نُصرةِ الأولياءِ وَرَدِّ عُدوان الأعداءِ؟.

---

(١) سورة آل عمران: آية ١٦٧.

فهل رأيتَ قوماً خيراً من قَوْمِكَ أو شاهَدتَ دِيناً أفضلَ من دينِكَ؟.

فقال المنصوحُ.

الأَمْرُ هو ما ذكرتُ لك، ونفسي تَتُوقُ إلى أُولٰئك الأقوامِ الّذينَ أَتْقَنوا الفنونَ والصناعاتِ، وتَرَقَّوا في هذه الحياةِ!!.

فقال له صاحبُهُ وهو يحاورُهُ:

رَفضْتَ دِيناً قَيِّماً كامِلَ القواعِدِ، ثابتَ الأركانِ، مُشْرِقَ البُرْهانِ، يَدْعو إلى كُلِّ خيرٍ، ويحثُّ على السعادةِ والفلاحِ، ويقولُ لأهلِهِ: هَلُمَّ إلى كُلِّ صلاحٍ وإصلاحٍ، وإلى كُلِّ خيرٍ ونجاحٍ، وَاسْلُكوا كُلَّ طريقٍ يُوْصِلُكم إلَى السعادةِ الدنيويةِ والأُخْرَوِيّةِ.

دينٌ مَبْنِيٌّ على الحضارةِ الراقيةِ الصحيحةِ التي بُنِيَتْ على العدلِ والتوحيدِ وَأُسِّسَتْ على الرحمةِ والحكمةِ والعلمِ والشفقةِ وأداءِ الحقُوقِ الواجبةِ والمُسْتَحَبّةِ، وَسَلِمَتْ من الظُّلْمِ والجَشَعِ والأخلاقِ السافِلَةِ، وَشَمَلَتْ بِظِلِّها الظَّليلِ، وإحسانِها الطويلِ، وخَيْرِها الشاملِ، وَبَهائِها الكاملِ، ما بينَ المشارقِ والمغاربِ، وأقرّ بذلك المُوَافِقُ وَالمُنْصِفُ المُخالِفُ.

أَتَتْرُكُها راغِباً في حضاراتٍ وَمَـدَنيّاتٍ مبنيّـةٍ على الكُفْرِ والإلحـادِ، مُؤَسَّسَةٍ على الـطَّمَعِ والجَشَـعِ والقسـوةِ وظُلْمِ العبـادِ فاقـدةً لِرُوحِ الإيمـانِ ورحمتِهِ، عـادمةً لِنُـورِ العلمِ وحكمتِهِ؟.

حضارةٌ ظاهِرُها مُزَخْرَفٌ مُزَوَّقٌ، وباطنها خَرَابٌ، وتَظُنُّها تَعْمُرُ الموجودَ، وهي في الحقيقةِ مآلُها الهلاكُ والتدميرُ.

أَلَمْ تَرَ آثارَها في هذهِ الأوقـاتِ، وما احْتَـوَتْ عليه من الآفاتِ والويلاتِ، وما جَلَبَتْهُ للخلائِقِ من الهلاكِ والفناءِ والتدميرِ؟.

فهل سَمِعَ الخلقُ منذ أَوْجَدَهُمُ اللَّهُ لهذهِ المجازرِ البشريةِ التي انتهى إليها شوطُ هذه الحضارةِ نَظيراً أو مثيلاً؟.

فهَل أَغْنَتْ عنهم مَدَنِيَّتُهُم وحضارتُهم من عذابِ الله من شيءٍ لَمّا جاءَ أمرُ رَبِّكَ وما زادَتْهم غَيْرَ تَتْبيبٍ؟.

فلا يَخْدَعَنَّك ما ترى من المناظـرِ المُزَخْـرَفةِ والأقـوالِ المُمَوَّهةِ، والدعاوى الـطويلةَ العريضـةِ، وانْظُر إلى بَـواطِنِ الأُمورِ وحقائِقها، ولاَ تَغُرَّنك ظواهرها!.

وتَـأَمَّلِ النتـائجَ الـوخيمةَ، والثَّمـراتِ الـذميمـةَ، فهـل أَسْعَدَتْهُم هذه الحضارةُ في دنياهم التي لا حياة لَهم يَرْجُون

غيْرَها؟! أَمَا تراهم يَتَنَقَّلونَ من شَرٍّ إلى شُرورٍ؟! ولا يَسْكُنُون في وقتٍ إلاّ وهم يَتحفَّزُون إلى شرورٍ فظيعةٍ ومجازِرَ عظيمةٍ؟.

فالقُوَّةُ والمدنيَّةُ والحضارةُ والمادةُ بأنواعِها إذا خَلَتْ من الدينِ الحقِّ فهذه طبيعتُها وهذه ثمراتُها وويلاتُها، ليس لها أُصولٌ وقواعدُ نافعةٌ، ولا لها غاياتٌ صالحةٌ.

ثُمّ هَبْ أنّهم مُتِّعوا في حياتِهم واسْتُدْرِجوا فيها بالعِزِّ والرياسةِ ومَظاهرِ القُوّةِ والحياةِ، فهل إذا انْحَزْتَ إليهم وواليتَهم يُشْرِكونك في حياتِهم ويَجْعلونَك كأبناءِ قومِهم؟.

كَلاَّ واللّهِ إنَّهم إذا رَضَوْا عنك جَعَلوك من أَرْذَلِ خُدَّامِهم!.

وآيةُ ذلك أنّك في لَيْلِكَ ونَهارِك تَكْدَحُ في خِدْمَتِهِم، وتَتَكَلَّم، وتُجادلُ، وتُخاصِمُ على حسابِهم ولم تَرَهم رَفَعوك حتى ساوَوْا مَعك أدنى قومِهم وبني جنسِهم!!.

فاللَّهَ فاللَّهَ يا أخي في دينِك، وفي مُروءَتِك وأخلاقِك وَأَدَبِك!!.

واللَّهَ اللَّهَ في بقيةِ رَمَقِك!!.

فالانضمامُ إلى هؤلاءِ ـ واللّهِ ـ هو الهلاكُ!.

فقال له المنصوحُ:

لقد صَدَقْتَ فيما قُلْتَ، ولٰكِنْ لي على هذا المذهبِ أصحابٌ مُثَقَّفون، ولي على هذا الرَّأْيِ شبيبةٌ مُهَذَّبون، قد تعاقَدْتُ مَعَهم على التمسُّكِ بالإلحادِ، واحْتِقَارِ المُسْتَمْسِكِينَ بدينِ رَبِّ العِباد، قَد أَخَذْنا نَصِيباً وافِراً من اللَّذَّاتِ، واسْتَبَحْنا ما تَدعو إليه النفوسُ من أصنافِ الشَّهَواتِ فأنّىٰ لي بِمُقاطَعَةِ هؤلاء السَّادةِ الغُرَرِ[1]؟.

وكيف لي بِمُبَايَنَتِهِم وقد اتَّصَلْت بهم غايةَ الاتِّصالِ؟!.

فالآنَ يَتَنازَعُني داعِيَانِ:

داعي الحقِّ بعدَ ما بان سبيلُه واتَّضح دليلُه.

وداعِي النَّفْسِ والاتَّصالِ بهؤلاء الأصحابِ المُنَافي للحقِّ غايةَ المنافاةِ.

فكيفَ الطَّريقُ الّذي يُريحُني وَيَشْفِيني؟.

وما الذي عن هذا الأَمْر يَسْليني؟.

---

(١) جمع أغرّ، وهو الشريف (ع).

فقال له صاحبُهُ الناصحُ:

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ مِن أَوْجَبِ الْوَاجِبَاتِ وَأَكْبَرِ فضائِلِ الرَّجُلِ اللبيبِ أَنْ يَتَّبِعَ الحقَّ الذي تَبَيَّن لـه وَيَدَعَ ما هُوَ فيـهِ من البـاطلِ، وخُصـوصَاً عنـد المُنازَعـاتِ النفسيّـةِ والأغـراضِ الدنيوّيةِ، وأنّ المُوَفَّقَ إذا وَقَع في المهالِكِ طَلَبَ الوَسِيلَة إلى تَحَصْيل الأسبابِ المُنجِيَةِ.

أَمَـا عَلِمْتَ أَنَّ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ على العبـدِ أَنْ يُقَيِّضَ له النَّاصحين الذّين يُرْشِدُونَه إلى الخيرِ وَيَأْمُرونَـه بالمعـروفِ، وَيَنْهَوْنَهُ عن المُنْكَرِ، وَيَسْعَوْن في سعادتِهِ وفلاحه؟.

ثُمَّ مِن تمامِ هذه النعمةِ أَنْ يُوَفَّقَ لِطَاعَتِهم ولا يَتَشبَّهْ بِمَنْ قال اللّهُ فيهم: ﴿وَلَٰكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾[1].

ثُمَّ اعْلَمْ أنّه رُبَّما كان الإنسانُ إذا ذاقَ مَذْهَبَ المُنْحَرِفينَ وشاهَدَ ما فيه من الغَيِّ والضَّلالِ ثُمَّ تراجَعَ إلى الحَقِّ الذي هو حبيبُ القلوبِ كان أَعْظَمَ لِوَقْعِهِ وَأَكْبَرَ لِنَفْعهِ!.

---

(١) سورة الأعراف: آية ٧٩.

فارْجِعْ إلى الحقِّ صادقاً وَثِقْ بِوَعْدِ اللَّهِ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾(١).

فقال المنصوحُ:

لا يخفى عليكَ يا أخي أنّ الباطِلَ إذا دَخَلَ في القُلوبِ وتمكّن منها لا يخرُجُ بسهولةٍ، فَأُريدُ أَنْ تُوَضِّحَ لي تَوْضِيحاً تامّاً بُطْلانَ ما عليهِ هؤلاءِ المُلْحِدون فإنّهم يُقِيمون الشُّبَه المُتَنَوِّعة في تَرْويجِ قَوْلِهم لِيَغْتَرَّ به مَنْ لا بَصِيرةَ له!.

فقال له النّاصِحُ:

اعْلَم أَنَّ الحقَّ والباطِلَ مُتَقابِلانِ، وأَنَّ الخيرَ والشرَّ مُتنافِيَانِ. وبمعرفةِ واحدٍ من الضِّدَّيْنِ يظهرُ حُسْنُ الآخرِ أو قُبْحُه، فَأُنْبِئُكَ على وَجْهِ الإجمالِ والتنبيهِ اللطِيفِ:

إذا أَرَدْتَ أَنْ تُقابِلَ بين الأشياءِ المُتَبايِناتِ فانْظُرْ إلى أَساسِها الّذي أُسِّسَتْ عليهِ، وإلى قَواعِدِها التي انْبَنَتْ عليها».

وانْظُرْ إلى آثارِها ونتائِجها وثَمَراتِها المُتَفَرِّعَةِ عنها.

وانظر إلى أَدِلَّتِها وبراهينِها التي بها ثَبَتت.

---

(١) سورة آل عمران: آية ٩، وسورة الرعد: آية ٣١.

وانْـظُرْ إلى مـا تَحْتَــوي وتشتمـلُ عليــهِ من الصـلاحِ والمنافعِ ، ومِنَ المفاسدِ والمضارِّ.

فَعِنْدَ ذلك إذا نَظَرْتَ لهذهِ الأُمورِ بِفَهْمٍ صحيحٍ وعَقْلٍ رجيحٍ ، ظهر لك الأمرُ عَياناً.

فإذا عَرَفْتَ هذه الأُصُولَ فهذا الدينُ الحقُّ الذي دَعَتْ إليه الرُّسُلُ عُموماً وخاتَمُهُم وإمامُهم محمدٌ ﷺ خُصوصاً، قد بُنِيَ وَأُسِّسَ على التوحيدِ والتألُّهِ للَّهِ وحدَه لا شريكَ له، حُبَّاً، وخَـوْفاً، ورجـاءً، وإخْلاصـاً، وانْقِياداً، وإذْعَـاناً لـربوبيّتـهِ، واسْتِسْلاماً لعبودّيتهِ.

قد دَلَّ على هذا الأصلِ الذي هو أكبرُ جميعِ أُصولِ الأدلّةِ العقليةِ والفِطْريةِ، ودَلَّتْ عليه جميعُ الكُتبِ السماويةِ وقَرَّره جميعُ الأنبياءِ والمُرْسَلين، وأتبـاعُهم من أَهل العلومِ الـراسخةِ، والألبـابِ الرزينـةِ، والأخلاقِ العـاليةِ، والآدابِ الساميةِ، كُلُّ أولئكَ اتفَّقَوا على أنَّ اللَّهَ مُنْفرِدٌ بـالوحـدانيّةِ، منعوتٌ بِكُلِّ صفةِ كمالٍ، مَوْصوفٌ بغايةِ الجلالِ والعَظَمـةِ والكبـرياءِ والجمـالِ، وأنّه الخـالقُ الرازقُ المُـدَبِّرُ لجميـع الأمــورِ، وأنـه مُنَــزَّهٌ عن كُـلِّ صفــةِ نقصٍ وعن مُمَــاثَلَةِ المخلوقينَ، وأنه لَا يستحقُّ العبادةَ والحمدَ والثناءَ والشُّكْرَ إلّا هو.

فالدينُ الإسلاميُّ على هذا الأصلِ أُسِّسَ، وعليه قامَ واسْتَقَام.

وأمّا ما عليهِ أهلُ الإلحادِ فإنّه يُنَافِي هذا الأصلَ غايةَ المنافاةِ، فإنّه مَبْنِيٌّ على إنكارِ الباريء رَأْساً، فضلاً عن الاعترافِ له بالكمالِ، وعن القيامِ بأوجبِ الواجباتِ، وَأَفْرَضِ الفُروضِ، وهو عبوديّتُهُ وحدَه لَا شَرِيكَ له.

فأهلُ هذا المذهبِ أعظمُ الخلقِ مُكابرةً وإنكاراً لِأَظْهَرِ الأشياءِ وأوضَحِها.

فَمَنْ أَنْكَرَ اللّهَ فبأيّ شيء يعترفُ؟ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾[1].

وهَؤُلاءِ أَبْعَدُ الناسِ عن عبوديةِ اللّهِ والإنابةِ إليهِ وعن التخلُّقِ بالأخلاقِ الفاضلةِ التي تدعو إليها الشرائعُ، وتخضَعُ لها العقولُ الصحيحةُ.

وَمَع خُلُوِّ قلوبِهم من توحيدِ اللّهِ والإيمانِ بِهِ وتوابعِ ذلك، فَهُمْ أجهلُ الناسِ وأقلُّهُم بصيرةً ومعرفَةً بشريعةِ

(١) سورة الجاثية: آية ٦.

الإسلامِ، وأُصولِ الدينِ وفُروعِهِ، فتجدُهم يَكْتُبونَ وَيَتكَلّمون ويَدَّعون لِأَنْفُسِهم من العلمِ والمعرفةِ والثقافةِ واليقينِ ما لا يَصِلُ إليه أكابرُ العُلَماء، ولو طُلِبَ من أَحَدِهم أن يتكلَّمَ عن أَصْلٍ من أُصولِ الدينِ العظيمةِ الذي لا يَسَعُ أحداً جهلُهُ، أو على حُكْمٍ من الأحكامِ في العباداتِ والمُعَامَلاتِ والأنكحةِ لَظَهَرَ عَجْزُهُ، ولم يَصِلْ إلى ما وَصَلَ إليه كثيرٌ من صِغارِ طَلَبةِ العلم الشرعيِّ.

فكيفَ يَثِقُ العاقلُ فضلاً عن المُؤْمِنِ بأقوالِهِمْ عن الدينِ؟ فأقوالهم في مسائلِ الدين لا قيمةَ لها أصلاً، ولو سَبَرْتَ حاصِلَ ما عليهِ رُؤَساؤهم لَرَأَيْتَهم قدِ اشْتَغَلوا بشيءٍ يسيرٍ من عُلومِ العربيّةِ، وتَرَدَّدُوا في قراءةِ الصُّحُفِ التي على مَشْرَبِهم، وتَمَرَّنوا على الكلامِ الذي مِن جِنْسِ أساليبِ كثيرٍ من هذهِ الصُّحُفِ الرديئةِ الساقطةِ، فَظَنُوا بأَنْفُسِهِم وظنَّ بهم أتباعُهم الاضْطِلاعَ بالمعارفِ والعلومِ، فهذا أَسْمَىٰ ما يَصِلُونَ إليهِ في العلمِ.

أمّا الأخلاقُ فلا تَسْأَل عن أخلاقِ مَنْ لا يُؤْمِنُ باللّهِ ولاَ باليومِ الآخرِ ولا يَعْتَقِدُ الأديانَ الصحيحةَ، فإنّ الأخلاقَ نتائجُ الاعتقاداتِ الصحيحةِ والفاسدةِ، فغايةُ ما عند هؤلاءِ التملُّقُ

القوليُّ والفِعليُّ، والخضوعُ الكاذبُ للمخلوقينَ، وهُم مَعَ هذا الخضوعِ السافلِ تجدُ عندَهم من العُجْبِ والكِبْرِ واحْتِقَارِ الخَلْقِ والاستنكافِ عن مُخَالَطةِ من يَسْتَنْقِصونَهم شيئاً كثيراً، فَهُم أوضعُ خَلْقِ اللّهِ وَأَعْظَمُهُمْ كِبْراً وَتِيهاً.

ثُمّ إنّهم يَسْتَعِينون على هذا الخُلُق المُسَمّى عندهم بالثقافةِ، بالتصنُّع، والتجمُّل بالملابسِ، والفَرْشِ، والزخارفِ، وَيَفْنون كثيراً من أوقاتِهم بذلك وقلوبُهم خرابٌ خاليةٌ من الهُدى والأخلاقِ الجميلةِ، فالجمالُ الظاهرُ الباطلُ ماذا يُغْني عن الجمالِ الحقيقيِّ؟.

ثُمَّ إذا لَحَظْتَ إلى غاياتِهم ومقاصدِهم فإذا هي أغراضٌ دنيَّةٌ، ومقاصِدُ سُفْلِيّةٌ، ومطامعُ شخصيّةٌ، وإذا سَبَرْتَ أحْوالَهُم رأيتَهم إذا اجْتَمعوا تظنُّهم أصدقاءَ مُجْتَمِعين، فإذا افْتَرقوا فَهُم الأعداءُ: ﴿**تَحْسَبُهُمْ جَميعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَعْقِلُونَ**﴾[1].

وما وصفتُ لك من أحوالِهم ـ وأنتَ تعرفُ ذلك ـ قليلٌ

---

(١) سورة الحشر: آية ١٤.

من كثيرٍ فكيفَ تَرْضَىٰ أَنْ يكونَ هؤلاءِ أحبابَك وأصدقاءَك، ترضى لِرِضاهُم، وتسخَطُ لِسَخَطِهم، وَتُقَدِّمُهم على حُظوظِكَ الحقيقيّةِ وسعادَتَكِ الأبديةِ؟.

فَٱنْظُرْ إلى صِفَاتِهم نَظَرَ التَّحْقيقِ والإنصافِ وقارِنْ بينَها وبينَ نُعوتِ البَرَرَةِ الأخيارِ الّذينَ امتلأَتْ قلوبُهم من محبّةِ اللّهِ والإنـابةِ إليـهِ والإيمانِ وإخـلاصِ العَمَلِ لأجلِهِ، وفـاضَتْ أَلْسِنَتُهم بِذِكْرِ اللّهِ والثَّناءِ عليـهِ، واشْتَغَلَـتْ جوارحُهُم في كُلِّ وسيلةٍ تُقَـرِّبُهُم إلى اللَّهِ وتُدْنِيهِم من رضـوانِهِ وثـوابِهِ ونَفْـعِ الخلقِ، أَشْجَـع الناسِ قُلوبـاً، وَأَصْدَقِهم قَـوْلاً، وَأَطْهَرهم أخلاقاً، وأزكاهُم عَمَلاً، وَأَقْرَبِهِم إلى كُلِّ خيرٍ وأبعدِهم من كُلِّ شَرٍّ، يَكُفُّونَ عن الخلقِ الأَذَىٰ، وَيَبْذُلون لهم، وَيَصْبرون منهم على الأذىٰ.

أَفَتُقَدِّمُ على هؤلاءِ الأنجابِ الغُرَرِ مَنْ مُلِئَتْ قلوبُهم من الشكِّ والنفاقِ وفاضَتْ على ظاهِرِهم فاكتسبـوا لذلـك أَرْذَلَ الأخـلاقِ، يَقُـومُـون بـالنفـاقِ والـرِّيَـاءِ، وَيَقْعـدُون بـالتملُّقِ والإعجـاب والكبريـاءِ، وَصْفُهُمُ القسوةُ والـطمعُ والجشـعُ، ونعتُهُهم الكـذِبُ والغِشُّ والبهـرجـةُ والخُنُـوعُ، قــد مَنَعـوا إحسانَهم لِكُلِّ مخلوقٍ واتَّصفوا بِكُلِّ فُسوقٍ، قد خَضَعوا في

بُحوثِهم العلميّةِ لِكُلِّ مارقٍ، وَتَبِعوا في أخلاقِهم كُلَّ رَذيلٍ وفاسِقٍ.

قال المنصوحُ:

واللّهِ ما تَعَدَّيْتَ في وَصْفِهم مِثْقالَ ذَرَّةٍ، ولكنّي أُريدُ أنْ تَدُلَّني على طريقٍ يَجْمَعُ بين السعادةِ الدنيويّةِ والسعادةِ الأُخْرَويةِ، لأنّ نفوسَ مَنْ تَرَبّى وتخلَّقَ بأخلاقِ هؤلاءِ لا تَرْجعُ عَمَّا أَلِفَتْهُ إلّا بأمرٍ قويٍّ، إمّا بترغيبٍ وهوىً يجذبُها وإمّا بترهيبٍ وخوفٍ يقمعُها.

فقال له صاحبُهُ الناصحُ:

واللّهِ لقد أدركتَ في هذا الدينِ مَطْلوبَك، وفيه - واللّهِ - كُلُّ مُرادِكَ ومَرْغُوبِك، فإنّه الدينُ الذي جَمَعَ بين سعادةِ الدنيا والآخرةِ، وفيه اللَّذّاتُ القلبيةُ والروحيةُ والجسديةُ، ولا تَفْقِدْ من مَطَالبِ النفوسِ الحقيقيةِ شيئاً إلّا أَدْرَكْتَه، ولا من أنواعِ المَسَرَّاتِ شيئاً إلا حَصَّلتَه، ففيهِ ما تَشْتهيهِ الأنفسُ وتلذُّ الأعيُن.

وسَأُوْضِحُ لك ذلكَ، فاعْلَمْ أنَّ أُصولَ اللذّاتِ المطلوبةِ هي:

أولاً: راحةُ القلوبِ وسكونُها وطمأنينَتُها وفَرَحُها وبهجتُها وزوالُ همومِها وغمومِها.



ثانياً: القناعةُ والطمأنينةُ بما أُوتِيَهُ العبدُ من المطالبِ الجسديةِ.

ثالثاً: استعمالُ ذلك على وجهٍ يَحْصَلُ به السرورُ والاغتباطُ.

فهذه الأُمورُ الثلاثةُ مَنْ رُزِقَها واسْتَعْمَلَها على وَجْهِها فقد نال كُلَّ ما تعلّق به طَمَع الطامِعين، فإنَّ جميعَ اللّذاتِ ترجعُ إلى ما ذَكَرْنا.

فأمّا لَذَّات القلوبِ، وحصولُ سُرورِها، وزوالُ كَدَرِها، فإنّما أصلُ ذلك بالإيمانِ التامِّ بما دَعَا اللَّهُ عباده للإيمانِ به، من الإيمانِ بتوحُّدهِ بجميعِ نُعوتِ الكمالِ، وامتلاءِ القلبِ من تعظيمهِ وإجلالهِ ومن التألُّهِ له وعبوديّتهِ، والإنابةِ إليه وإخلاص العَمَلِ الظاهرِ والباطنِ لوجههِ الأعلى، وما يَتْبَعُ ذلك من النُّصْحِ لعبادِ الله وَمَحبَّةِ الخيرِ لهم، وبَذْلِ المقدورِ من نَفْعِهِم والإحسَان إليهم والإكثارِ من ذِكْرِ اللَّهِ والاستغفارِ والتوبةِ.

فَمَنْ أُوتِيَ هذه الأُمُورَ فقد حَصَلَ لقلبهِ مِنَ الهدايةِ والرحمةِ والنورِ والسرورِ وزوالِ الأكدارِ والهمُومِ والغُمومِ ما هو نُمُوذَجٌ من نعيمِ الآخرةِ.

وَأَهْلُ هذا الشأنِ لا يَغْبِطُونَ أربابَ الدنيا والملوكَ على لَذَّاتهم وَرِيَاسَاتِهم، بل يَرَوْنَ ما أُعْطَوه من هذه الأمورِ يفوقُ ما أُعْطِيَه هؤلاءِ بأضعافٍ مُضاعفَة.

وهذا النعيمُ القَلبيُّ لا يَعْرِفُهُ حَقَّ المعرفـةِ إلاّ من ذاقَه وجَرَّبه، فإنّه كما قيل:

مَنْ ذاقَ طَعْمَ نعيمِ القومِ يَدْريهِ

وَمَنْ دَرَاه غَـدَا بالـرُّوحِ يَشْـرِيـهِ

فهذا إشارةٌ لطريقِ هذا النعيمِ القلبيِّ الذي هو أَصْلُ كُلِّ نعيمٍ.

وَأَمَّا الأمرُ الثاني:

فإنّ اللَّهَ أَعطى العبادَ القُوَّةَ والصِّحَّةَ وما يَتْبَـعُ ذلك من مالٍ وأهلٍ وولدٍ وحَوْلٍ وغيرِها.

والنُاسُ بالنسبةِ لهذه الأشياءِ نوعانِ: قسمٌ صارت هـذه النِّعَمُ في حَقِّهم مِحَناً وَنِقَماً.

وقِسْمٌ صارَ في حَقِّهِم نَهماً وخَيرْاتٍ ومِنَحاً.

أمّا أهلُ الدينِ الحقيقيِّ فقد قَابَلوا هذه النِّعَمَ تَلَقَّوْها على وَجْهِ الشُّكْرِ للَّهِ والاغتباطِ بفضلِهِ وتناوَلوها على وجهِ الاستعانةِ

بِهَا على طَاعةِ المُنْعِم. وعَلِمُوا أنّها من أكبرِ الوسائلِ لهم إلى رِضَىٰ رَبِّهِم وخيرِهِ وثوابِهِ إذا اسْتَعْمَلوها فيما هُيِّئَتْ له وخُلِقَتْ له وقد رَضُوا بها عن اللّهِ كُلَّ الرِّضىٰ، فإنّهم عَلِموا أنّها من عندِ اللّهِ الذّي له الحكمةُ التامّةُ في جميعَ أَقْضِيَتِهِ وأقدارِهِ، وله الرحمةُ الواسعةُ في جميع تدابيرِهِ، وله النعمةُ السابغةُ في كُلِّ عطاياه، وهو أرحمُ بهم من الخَلْقِ أجمعينَ، فحيثُ عَلموا العلمَ اليقينيَّ صُدُورَها مِمَّنْ هذا شَأْنُهُ قَنَعوا بما أُعْطَوه منها، من قليلٍ وكثيرٍ، كُلَّ القناعةِ وَسَكَنَتْ قلوبهُم عن التطلُّعِ والتطلُّبِ لِمَا لم يُقَدَّرْ لهم.

ومتى حَصَلَتِ الطمأنينةُ والقناعةُ والرِّضىٰ عن اللّهِ بما أَعطى، فقد حَصَلَتِ الحياةُ الطَّيِّبَةُ.

فإذا أَدْرَكْتَ حَقَّ الإدراكِ نَعْتَهم هذا، عَرَفْتَ أن نعيمَ الدنيا في الحقيقةِ هو نعيمُ القناعةِ برزقِ اللّهِ وطمأنينةُ القلوبِ بذكرِ اللّهِ وطاعتِهِ، وأنّ الواحد من هؤلاءِ لو لم يكن عندَه من هذَه الأمُور وهي القوةُ والصحةُ والمالُ والأهلُ والوَلَدُ وتوابع ذلك إلاَّ الشيءَ القليلَ لكان في راحةٍ وسُرورٍ من جهتين:

جهةِ القناعةِ وعدمِ تطلُّع النفسِ وَتَشَوُّفِها للأمورِ التي لم تحصل.

وجهةِ ما تَرْجوه من ثوابِ اللّهِ العاجلِ والآجلِ على هذه العبادةِ القلبيّةِ التي تزيدُ على كثيرٍ من العباداتِ البَدَنيّةِ.

فإنّ التعبُّدَ للّهِ بِمعرفةِ نِعَمِهِ والاعترافَ بها والرِّضى بها. والرجاءَ للّهِ أن يُديمَها ويُتِمَّها وأنْ يَجْعَلَها وسيلةً إلى نِعَمٍ أُخرى، وأنْ يَجْعَلَها طريقاً للسعادةِ الأبديةِ.

لا رَيْبَ أنّ هذه الأحوالَ القلبيّةَ من أفضلِ الطاعاتِ وَأَجَلِّ القُرُباتِ، فَكَمْ بينَ سُرورِ هذا الذي تَعَبَّدَ بروحِ الدينِ وحَصَلَتْ له الحياةُ الطَّيِّبَةُ وبينَ من تَلَقَّى هذه النِّعَمَ بالغفلَةِ وعدمِ الاعترافِ بنعمةِ المُنْعِمِ وشَقِيَ بِهُمومِها وغُمومِها، وكان إذا حَصَلَ له شَيْءٌ من مطالبِ النُّفوسِ لم يَرْضَى به بل تَشوَّفَ إلى غيره وتطلَّع لسواه، فهذا يتنقّلُ من كَدَرٍ إلى كَدَرٍ آخَرَ، لأنّ قَلْبَهُ قد تعلَّق تَعَلُّقاً شديداً بمطالبِ الجسدِ فحيثُ جاءَتْ على خلافِ ما يُؤَمِّلُهُ ويُريدُهُ قَلِقَ أَشَدَّ القلقِ، وهو لا يزالُ في قَلَقٍ مستمرٍ لأنّ المطالبَ النفسيَّة مُتَنَوِّعةٌ جداً، فلو وافَقَهُ واحدٌ لم يوافِقْهُ الآخَرُ، وَرُبّما اجتمعَ فِي الشيءِ الواحدِ سرورٌ من وجهٍ، وحزنٌ من وجهٍ آخرَ، فَصَفوُهُ ممزوجٌ بكَدَرِهِ، وسرورُهُ مُخْتَلِطٌ بحزنِهِ، فأينَ الحياةُ الطَّيِّبَةُ لهذا؟!.

وإنّما الحياةُ الطَّيِّبةُ لأربابِ البصائرِ والحِجَى[1] الذين يَتَلَقَّوْنها كُلَّها بالقَبولِ والقناعةِ والرِّضى.

وأما الأمرُ الثالثُ، وهو جهةُ استعمالِ هذه النِّعَمِ:

فصاحِبُ الدينِ الصحيحِ يتناولُها على وجهِ الشُّكر للّهِ على نِعَمِهِ والفَرَحِ بفضلهِ وينوي بها التَّقَوِّيَ على ما خُلِقَ له من عبادةِ الله وطاعتهِ ويُنْفِقُها مُحْتَسِباً بها رضى اللّهِ وفضلَه وخَلَفَهُ العاجلَ والآجِلَ، ويعلمُ أنّه إذا أَنْفَقَ على نفسهِ وأهلهِ أو وَلَدهِ أو من يَتَّصِلُ به، فإنّما نَفَقَتُهُ صادَفَتْ مَحلَّها ووقَعَتْ مَوْقِعَها، فلم يَتَثاقل كَثْرَةَ النفقةِ في هذا الطريقِ لأنّه يقولُ معتقداً: هذا أولى ما بذلتُ فيه مَالي، وهذا ألزمُ ما قمتُ بِهِ من الواجباتِ والفروضِ، وهذا خيرُ ما قمتُ به من المُسْتَحَبَّاتِ، وهذا أعظمُ ما أرجو له الخَلَفَ من اللّهِ حيثُ يقولُ وهو الكريمُ الوفيُّ: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[2].

---

(١) أي العقول. (ع).

(٢) سورة سبأ: آية ٣٩.

ولا يَزال نُصْبَ عينيهِ احتسابُ الأجر في سعيهِ بكسبهِ، وفي مصرفهِ أجناسَ ذلك وأنواعَه وأفرادَه، مُتَفَطِّناً لقولهِ ﷺ: «على أنّك لن تُنْفِقَ نفقةً تَبْتَغي بها وَجْهَ اللّهِ إلا أُجِرْت عليها حتى ما تَجْعَلُه في امرأتِك»[1] فَمَنْ كان هذا وَصْفَهُ فإنّ لَذَّاتهِ الدنيويّة هي اللذاتُ الحقيقيةُ السالمةُ من الأكدارِ مِمّا يرجو مِنَ الثوابِ العاجلِ والآجلِ من اللّهِ.

وَمَنْ كانت هذه صِفَتَهُ سَهُلَ عليه الأخذُ من حِلِّها ووضعِها في محلِّها، ويُسِّرَتْ له أُمورُهُ غايةَ التيسيرِ.

وأمّا مَن استعملَ هذه النِّعَمَ على وجهِ الشَّرَهِ والغفلةِ ولم يُفَكِّر في الاعترافِ بفضل اللّهِ في كُلِّ الأوقاتِ وبنعم اللّهِ، ولم يفرحْ بالنِّعَمِ لأنّها من فضلِ اللّهِ، بل فَرِحَ بها فقطْ لِمُوَافَقَةِ غَرَضِهِ النفسيِّ ولا نوى بها الاستعانةَ على طاعةِ اللّهِ، ولا احْتَسَبَ في نَيْلِها وصَرْفِها على المُنْفَقِ عليهم الأجرَ والثوابَ.

---

(١) حديثٌ صحيحٌ، رواه البخاري (رقم: ٥٦)، ومسلم (رقم: ١٦٢٨) عن سعد. (ع).

فَمَنْ كان هذا وَصْفَهُ فإنَّ الكَدَرَ والحُزْنَ له بالمرصادِ، فإنّه إذا فاتَتْهُ بعض الشهواتِ النفسيّةِ حَزِنَ، وإنْ أَدْرَكَ ما أدركه منها ولم يَكُنْ على ما في خاطرهِ من كُلِّ وجهٍ حَزِنَ، وإنْ أرادَ منه ولدُهُ ومن يَتَّصِلُ به نفقةً أو كسوةً واجبةً أو مُسْتَحَبَّةً حَزِنَ، ولم تخرُجْ منه إلاّ بِشِقِّ الأنفُسِ، وإنْ خَرَجَتْ منه خَرَجَ معها بضعةٌ من سُرورِ قلبهِ لأنّه يُحِبُّ بقاءَ مالِهِ ويَحْزَنُ لنقصهِ على أيِّ وجهٍ كانَ، وليس عندَه مِنَ الاحْتِسَابِ ما يُهَوِّنُ عليه الأَمرُ، هذا إنْ كان غيرَ بخيلٍ، فإنْ كانَ شَحِيحِ النفسِ مَطْبوعاً على البُخْلِ فإنّ حياتَه مع أولادهِ وأهلِهِ والمُتَّصِلينَ به حياةُ شقاءٍ وعذابٍ وأكدارٍ مُتَوَاصِلةٍ، وأحزانٍ مُسْتَمِرَّةٍ لا إيمانَ عندَه يُهَوِّنُ عليه النَّفقَاتِ، ولا نَفْساً سخيّةً لا تَسْتَعْصي عن نَيْلِ المكْرُمَاتِ، فيا لَه من عذابٍ حاضرٍ وعذابٍ مُستمرٍّ، فأينَ هذا من ذاك الذي حَصَلَتْ له الحياةُ الطَّيِّبَةُ بأكملِها.

هذا كلُّهُ بالنَّظَرِ إلى هذه الأُمورِ الثلاثةِ التي هي أصلُ اللذَّاتِ عند العُقَلاءِ، قد اتَّضَحَ لنا أنّ صاحبَ الإيمانِ الصَّحيحِ هو الذي فازَ باللذَّاتِ الحقيقيّةِ وَسلِمَ مِنَ المُكَدِّرات..

ثُمَّ إذا عَطفْنا النَّظَرَ إلى الطَّوَارىءِ البشريّةِ التي لا بُدَّ

لِكُلِّ عبدٍ منها وهي المُصِيباتُ التي تَعْتَري العبادَ من الأمراضِ المُتنوّعةِ ومَوْتِ الأحّبةِ وَفقْدِ الأَمْوالِ وَنَقْصِها وَوُقوعِ المكارهِ بمن تُحِبُّ، وزَوَالِ المحابِّ، وغَيرها من أنواعَ المصائبِ دقيقِها وجليلِها، رأيتَ المؤمنَ حَقّاً قد تلقّاها بقُوَّةٍ وصبرٍ واحتسابٍ، وقد قامَ لها بارتقابَ الأَجْرِ والثوابِ وعَلِمَ أَنّها تقديرُ العزيزَ العليمِ، وأنّها أقضيتُهُ صَدَرَتْ مِنَ الربِّ الرحيم، فهان عليه أمْرُهَا وَخَفَّتْ عليه وَطْأتُها، فإنّه إذا فكّر فيما فيهَا من الآلامِ الشاقّةِ قابَلَها بما تَتَضَمَّنَهُ من تكفيرِ السيِّئاتِ وتكثيرِ الحسناتِ، ورِفْعَةِ الدرجات، والتخلُّقِ بأخلاقِ الكِرَامِ والقُوَّةِ والشجاعةِ، وإذا أَنْهَكَتْ بَدَنَهُ ومالَه رآها مصلحةَ لقلبِهِ وروحِهِ.

فإنّ صلاحَ القُلوبِ بالشُّكرِ للّهِ على نَعْمائهِ والصَّبْرِ على بلائهِ وانْتِظَارِ الفَرَجِ من اللّهِ إذا أَلَمَّتْ المُلِمَّاتُ، واللجوءِ إلى اللّهِ عندَ جميعِ المُزْعِجَاتِ والمُقْلِقَاتِ، فأقلُّ الأحوالِ عند هذا المؤمنِ أَنْ تَتقابَلَ عنده المصائبُ والمحابُّ والأَفراحُ والأَتْراحُ، وقد تَصِلُ الحالُ بخواصِّ المؤمنينَ إلى أَنّ أفراحَهم وَمَسَرَّاتِهم عندَ المصُيباتِ تَزيدُ على ما يَحْصُلُ فيها من الحُزْنِ والكَدَرِ الذي جُبِلَتْ عليهِ النفوسُ، فأين هذه الحالَ من حالِ

مَنْ تَلَقّى المُصيباتِ التي لا بُدّ للخلقِ منها بقلبٍ مُنْزَعِجٍ مرعوبٍ، وَخَشَعَتْ نفسُهُ المَهينةُ لِمَا فيها من الشَّدائِدِ والكُروبِ، فَبَقِيَتِ الحَسَراتُ تَنْتَابُ قَلْبَهُ ورُوحَهُ، وزادَتْ مصائبُ قلبهِ على مصائبِ بَدَنِهِ ليس عندَه من الصَّبْرِ وارتقابِ الثوابِ ما يُخَفِّفُ عنه الأحزانَ. ولا من الإيمان ما يُهَوِّنُ عنه الأشجانَ، تَعْتريهِ المصائبُ فلا تجدُ عندَه ما يُخَفِّفُها فَتَعْمَلُ عَمَلَها في قلبهِ وروحهِ وبَدَنِهِ وأحوالِهِ كُلِّها..

القلبُ مَليءٌ من الهمِّ والغَمِّ والألَمِ، والخوفِ السابقِ واللاحق قد مَلأَ نفسَه فانْحَلَّ لذلك لُبُّهُ وانْحَطَمَ، وقد ضَعُفَ تَوَكُّلُهُ على اللّهِ غايةَ الضعفِ حتى صار قلبُهُ يتعلّقُ بمن يرجو نَفْعَه من المخلوقين؟.

فَيَالَهَا من مصائبَ دنيويةٍ اتَّصَلَتْ بالمصائبِ الدينيةِ والخُلُقيةِ، وتراكم بعضُها فوقَ بعضٍ حتى صار عندَه أعظمَ من الجبالِ الرواسِي.

فواللّهِ لو عَلِمَ أهلُ البلاءِ والمصائبِ بما في الإيمانِ والرُّوحِ [مِنَ] التسليةِ والحياةِ الطيِّبَةِ لَسَارَعوا إليهِ، ولو في هذه الحالِ التي هُم فيها مُضْطَرُّون إلى ما يُخَفِّفُ عنها

آلامَهم ولا يَجِدُونَه إلّا في الإيمانِ الصحيحِ الحقيقيِّ وما يَدْعو إليهِ.

ومِمَّا يتعلَّقُ به سرورُ الحياةِ، ونعيمُها، أو همُّها وغمُّها، مُعَاشَرَةُ الخَلْقِ على اختلافِ طَبَقاتِهم، فَمَنْ عاشَرَهم بما يدعو إليهِ الدينُ استراحَ، ومَنْ عاشَرَهم بحسبِ ما تَدْعو إليه الأغراضُ النفسيّةُ، فلا بُدَّ أن يكونَ عَيْشُهُ كَدِراً، وحياتُه مُنَغَّصة..

وتوضيحُ ذلك أنّ الناسَ ثلاثةُ أصنافٍ: رئيسٌ، ومرؤوسٌ، ونَظِيرٌ[1].

أَمَّا مَنْ له رياسةُ حُكمٍ، أو ثروةٌ، وله أتباعٌ وحاشيةٌ فله معهم حالانِ:

حالةٌ فيما يفعلُه معهم.

وحالَةٌ فيما يُصِيبُه من أتباعِه من خيرٍ وشرٍّ، ومُوَافِقٍ للطبعِ ومُخَالِفٍ له.

فإن هو حَكَّمَ الدِّينَ والشَّرْعَ، في الحالَتَيْنِ اسْتَرَاحَ، وله

---

(١) هو المُساوي، وسيشرحه المصنف رحمه الله (ع).

أَجْرٌ من اللّه، إذا استعمل العَـدْلَ معهم، واسْتَعْمَلَ النُّصْـحَ والإحسانَ، وقابل المُسِيءَ منهم بالعفوِ، وشَكَرَهم على فِعْلِ المعروفِ والخيرِ، مُبْتَغِياً بذلك وَجْهَ اللّهِ، وأيضاً فإنّه إذا تأمَّلَ فيما فَعَلَه من خيرٍ اطمأنَّتْ نفسُه، وانْشَرَحَ صَدْرُهُ.

فأينَ هذا من الرئيسِ الذي لا يُبالي بِظُلمِ الناسِ في دمائِهم وأموالِهم وأعراضِهم، ولا يُبالي بِسُلوكِ طُرُقِ العدلِ والإنصافِ، وليس له صبرٌ على أيّةَ أَذِيَّةٍ تُصِيبُهُ من رعيّتِهِ؟ فهو مع أتباعِهِ في نَكَدٍ مُسْتَمِرٍّ، ورعيّتُهُ قد مُلِئَتْ قلوبُهم من مَقْتِهِ وبُغْضِهِ، يتربّصون به الدوائرَ والفُرَصَ حتى إذا وَقَعَ في أقلِّ شيءٍ أعانوا عليهِ أَعْدىٰ أعدائِهم، فهو مَعَهم غيرُ مُطْمئِنٍّ على حياتهِ ولا على نعمتهِ، لا يدري متى تَفْجَؤُهُ البلايا، ليلاً أو نهاراً!..

هذه حالةُ الرئيسِ على وجهِ الإجمال.

وأمّا حالـةُ المرؤوسِ: فـإنْ أَطَاعَ الـدينَ في وظيفتهِ، وأطاعَ حاكِمَهُ أو سَيِّدَهُ، أو والدَه، واستعمل الآدابَ الشرعيّة في مُعامَلَتِهِ. والأخلاقَ المرضيَّةَ، فهو مَـعَ طاعتهِ للّهِ ولرسولِهِ قد اسْتَرَاحَ وأراحَ، وطابَتْ عنه نفسُ رئيسه، وَأَمِنَ عُقوبَتَهُ، وَأَمَّلَ إحسانَهُ وبِرَّهُ ومَحَبَّتَهُ.

وَأَمَّا مَنْ تعدَّى طورَه وعصى مَتْبُوعَه والْتَوىٰ، فإنّه لا يزالُ مُتَوَقِّعاً لأنواع المضارِّ، يمشي خائفاً وَجِلاً لا يَقَرُّ له قرارٌ، ولا يستريحُ له خاطرٌ.

وأمّا حالةُ النظيرِ المساوي: فإنّ جُمهورَ مَن تعاشرُهُمْ مِنَ الخلقِ إذا خالَقْتَهم بالخُلُقِ الحَسَنِ، اطْمَأَنَّتْ نفسُك، وزالتْ عنك الهمومُ لأنّك تكتسبُ بذلك مَوَدَّتَهم، وتُخْمِدُ عداوتَهم، مع ما تَرْجوهُ من عظيمِ ثوابِ اللّه على هذهِ العشْرَةِ التي هِيَ من أفضلِ العباداتِ، فإنّ العَبْدَ يبلُغُ بِحُسْنِ خُلُقهِ، دَرَجَةَ الصائمَ القائمَ[1].

وحُسْنُ الخُلُقِ له خاصِّيَةٌ في فَرَحِ النَّفْسِ، لا يَعْرِفُ ذلك حَقَّ معرفتهِ إلا المُجَرِّبون..

فأينَ حالِ هَذَا مِمَّن عَاشَرَ الناسَ بأسوأ الأخلاقِ، فَخَيْرُهُ ممنوعٌ، وشَرُّهُ غيرُ مأمونٍ، وليس له أقلُّ صبرٍ على ما ينالُهُ من المُكَدِّراتِ، فهٰذا قد تَنَغَّصَتْ عليه حياتُهُ، وَحَضَرَتْهُ همومُه

---

(١) كما صحّ عن النبي ﷺ أنه قاله، وقد رواه عنه أحمد (١٣٣/٦ و ١٨٧) وأبو داود (٤٧٩٨) وابن حبان (١٩٢٧) عن عائشة.

وحَسَراتُه، فهو في عناءٍ حاضرٍ، ويخشى من الشقاءِ الآجِلِ . .
وأمّا مُعَاشَرَتُهُ مع أهلِهِ وأولادِهِ ومِن يَتَّصِلُ به، فإنّه يتأكّدُ عليه القيامُ بالحقوقِ اللازمةِ تامّةً لا نَقْصَ فيها ولا تَبَرُّمَ.

فَمَنْ عَامَلَ هؤلاءِ بما أَمَرَ اللّهُ ورسولُه، راجياً بقيامِهِ به ثَوَابَ رَبِّهِ ورضاهُ، عاشَ مَعَهم عيشةً راضيةً، ومَنْ كان مَعَهم في نَكَدٍ وسُوءِ خُلُقٍ مع الصغيرِ والكبيرِ، يخرُجُ من بيتِهِ غَضْبانَ ويدخُلُ على أهلِهِ وولدِهِ مُتَكَدِّراً مَلآنَ، فأيُّ حياةٍ لمن كانت هذه حالَه؟.

ومَا الذّي يَرْجُوهُ حيثُ ضَيَّعَ ما فيهِ فَرَحُهُ ومَسَرَّاتُهُ؟.

وَأَمّا عِشْرَتُهُ مع مُعَامليهِ، فإنْ اسْتَعْمَلَ معهم النُّصْحَ والصِّدْقَ وكان سَمْحاً إذا باعَ، سَمْحاً إذا اشْتَرىٰ، سمحاً إذا قضى، سَمْحاً إذا اقتضى[1] - حَصَلَتْ له الرحمةُ، وفاز بالشَّرَفِ والاعتبارِ واكْتَسَبَ مَوَدَّةَ مُعَامِليهِ ودَوَامَ مُعامَلَتِهم.

ولا يَخْفَىٰ ما في ذلك من طِيبِ الحياةِ، وسُرورِ النفسِ،

---

(١) وقد صحَّ هذا الكلامُ مَرْفوعاً إلى النبيِّ ﷺ رواه عنه البخاري (٥/ ٢١٠) وابن ماجه (٢٢٠٣) والترمذي (١٣٢٠) والطبراني في «الصغير» (٦٧٢) عن جابر.

وما في ضِدِّها من سُوءِ الحـالِ وسُقوطِ الشَّـرَفِ، وتَنَغُّصِ الحياةِ.

والفارِقُ بين الرجُلَيْنِ هو الدِّينُ فصـاحبُ الدينِ مُنْبَسِطُ النفسِ، مُطْمَئِنُّ القلبِ..

فقد تَبَيَّنَ لك أنّ السعادةَ واللذّةَ الحقيقيّةَ بجميعِ أنواعِها تابعةٌ للدينِ.. واعْلَمْ يا أخي أنَّ الدِّينَ نوعانِ:

أحدُهما: أعمالٌ وأحوالٌ وأخلاقٌ دينيّةٌ ودنيـويّةٌ، وكمـا ذكرنا أنّه لا سَبِيلَ إلى حُصولِ الحياةِ الطَّيِّبَةِ إلّا بالدينِ.

والثـاني: عُلومٌ ومعـارفُ نـافعـةٌ، وهي علومُ الشـرعِ والدين، وما يُعِينُ عليها ويُتَوَصَّلُ إليها بهِ، فالاشتغالُ بها من أَجَلِّ العباداتِ، وحُصـولُ ثَمرتِهـا من أكملِ اللذَّاتِ، ولا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ من اللذّاتِ الدنيويَّةِ.

واعْتَبِرْ ذلك بحالِ الراغِبينَ في العلمِ تجدْ أَكْثَرَ أوقاتِهم مَصْـروفـةً في تحصيـلِ العلم. فَيَمْضي الـوقتُ الـطويـلُ، وصـاحبُهُ مُسْتَغْـرِقٌ فيه يتمنّى امتـدادَ الزَّمَـنِ. وهـذا عنـوانُ اللذَّة، فإنّ المشتاقَ يَقْصُرُ عنده الوقتُ الطويلُ، ومَنْ ضاق صَدْرُهُ بشيءٍ يطولُ عليه الوقتُ القصيرُ، وذلك أنّ صـاحبَ

العلمِ في كُلِّ وقتٍ مُسْتَفِيدٌ عُلوماً يزدادُ بها إيمانُه، وتَكْمُلُ بها أَخْلاقُهُ، وَالمُتَصَفِّحَ للكُتُبِ النافعةِ، لا يزالُ يَعْرِضُ على ذهنِهِ عقولُ الأَوَّلِينَ والآخِرينَ وَمَعَارِفَهم وأحوالَهم الحميدةَ، وضِدَّها.

ففي ذلك مُعْتَبَرٌ لِأُولي الألبابِ!.

فَكَمْ مِن قِصَّةٍ تَمُرُّ عليكَ في الكُتُبِ تكتسبُ بها عَقْلاً جَديداً، وتُسَلِّيكَ عند المصائبِ، بما جرى على الفُضَلاءِ، وكيف تَلَقَّوْها بالرِّضَا والتسليمِ، واغْتَنَموا الأَجْرَ مِن العليمِ الحكيم.

والعِلمُ يُعَرِّفُكَ طُرُقاً تُدْرِكُ بها المطالبَ، وتَدْفَعُ بهَا المكارِهَ والمضارَّ.

والعقلُ عَقْلانِ:

عَقلٌ غريزيٌّ: وهو ما وَضَعَه اللّهُ في الإنسانِ من قُوَّةِ الذِّهْنِ في أُمورِ الدينِ والدنيا.

وعَقْلٌ مُكْتَسَبٌ: إذا انْضَمَّ إلى العقلِ الغريزيِّ ازداد صاحبُهُ حَزْماً وبصيرةً.

فكما أنَّ العقلَ الغريزيَّ ينمو بِنُمُوِّ الإنسانِ حتى يبلُغَ

أَشُدَّه، فكذلك العقلُ المُكْتَسَبُ له مَادّتانِ للنموِّ: مادةُ الاجتماعِ بالعُقَلاءِ والاستفادةِ من عُقولِهِم وتجارِبِهِمْ، تارةً بالاقتداءِ، وتارةً بِمُشَاوَرَتِهم ومُباحَثَتِهم، فكم تَرَقَّى الرجلُ بهذه الحالِ إلى مَرَاقي الفلاحِ.

ولهذا كانَ انزواءُ الرَّجُلِ عن الناسِ يُفَوِّتُهُ خَيْراً كثيراً ونَفْعاً جليلاً، مَعَ ما يُحْدِثُهُ الاعتزالُ من الخيالاتِ وسُوءِ الظنِّ بالناسِ، والإعجابِ بالنفس الذي يُعَبِّرُ عن نَقْصِ الرجل، ورُبَّما ضَرَّ البَدَنَ، فإنّ مُخَالَطَةَ الناسِ تفتحُ أبواباً من المَصَالِحِ، تُسَلِّيكَ، وتُقَوِّي قَلْبَكَ.

وفي ضَعْفِ القلبِ ضَرَرٌ على العقلِ، وَضَرَرٌ على الدينِ، وضَرَرٌ على الأخلاقِ، وضَرَرٌ على الصَّحَّةِ.

وينبغي للإنسانِ أَنْ يُعامِلَ الناسَ، بِحَسَبِ أحوالِهِم، كما كان النبيُّ ﷺ يُحَسِّنُ خُلُقَهُ مع الصغيرِ والكبيرِ[1]، قال

(١) وهذا يُعْرَف من طبيعة حياته ﷺ، وجملةٍ من أحاديثهِ الصحيحة التي تظهر فيها جلياً هذه الصورة الوضيئة من خُلُقه عليه الصلاة والسلام. (ع).

تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾[1] أي: خُذْ ما صَفَا لـك من أخلاقِ الخَلْقِ، ودَعْ عَنْـكَ ما تَعَسَّـر منها.. فَيُجـالِسُ أبناءَ الـدنيا بالأدبِ والمروءةِ، والأكابرَ بـالتوقيـرِ، والإخوانَ والأصحـابَ بالانبساطِ، والفُقَراءَ بالرحمةِ والتواضُعِ، وأهلَ العلمِ والدينِ بما يليقُ بِفَضْلِهم..

فَصَاحِبُ هذا الخُلُقِ الجليل تراه مُبْتَهِجَ النفسِ في حياةٍ طيبةٍ..

وأَمَّا المادةُ الثـانيةُ للعقـلِ المُكْتَسَبِ، فهي: الاشتغالُ بالعلومِ النافعـةِ، فتستفيدُ بِكُـلِّ قضيّةٍ رأيـاً جَديـداً، وعَقلاً سَديداً، ولا يزالُ المُشْتَغِلُ بالعلمِ يَتَرَقّى في العلمِ والعقلِ والأدبِ.

والعلمُ يُعَرِّفُكَ باللّهِ، وكَيفَ الطريقُ إليهِ، يُعَرِّفُكَ كيف تَتَوَسَّلُ بالأُمورِ المباحَةِ إلى أن تَجْعَلَها عبادةً تُقَرِّبُكَ إلى اللّهِ.

والعِلمُ يقومُ مقامَ الرياساتِ والأموالِ، فَمَنْ أَدْرَكَ العلمَ فقد أَدْرَكَ كُلَّ شيءٍ، ومَنْ فاتَه العِلْمُ فاتَه كُلُّ شيء.

---

(١) سورة الأعراف: آية ١٩٩.

وكُلُّ هذا في العُلومِ النافعةِ، وأمّا كُتُبُ الخُرافاتِ والمُجُونِ فإنّها تُحَلِّلُ الأخلاقَ، وَتُفْسِدُ الأفكارَ والقلوبَ، بِحَثِّها على الاقتداءِ بأهلِ الشَّرِّ، وهي تَعْمَلُ في الإيمانِ والقلوبِ عَمَلَ النارِ في الهَشيمِ . .

فَلَمَا تلا النَّصيحُ لصاحبِهِ هذه المواضيعَ، وبَرْهَنَ عليها، قال له المنصوحُ:

واللّهِ لقد انْجَلَىٰ عَنِّي ما أَجِدُ في أوّل موضوعٍ تلوتَه عَلَيّ، وانْزَاحَ عَنِّي الباطلُ في شَرْحِكَ الأوّل، وإنّ مَجْلِسَكَ يا أخي ونصيحَتَك بِهذه الطريقةِ النافعةِ تَعْدِلُ عندي الدنيا وما عَلَيها، فَأَحْمَدُ اللَّهَ أوّلاً حيثُ قَيَّضَك لي، وأشكرُك شكراً كثيراً حَيثُ وَفَّيْتَ بحقِّ الصُّحْبَةِ، ولم تَصْنَعْ ما يصنعُهُ أهلُ العقولِ الذّين إذا رَأَوْا من أصحابِهِم ما يَسُوؤُهم قَطَعوا عنهم حَبْلَ الودادِ في الحالِ، وأعانوا الشَّيْطانَ عَلَيهم، فازداد بذلك الشرُّ عليهم، وضاعَ بينَهم التفاهُمُ.

وإنِّي لا أنسى جميلَ مَعْروفِكِ حيثُ رَأَيْتَني سادِرًا في المهامِهِ[1]، مَغْروراً بنفسي، مُعْجَباً برأيي، فَأَرَيْتَني بعيني ما

---

(١) مَتَحيِّراً في أفكاري التي هي كالأرض المقفرة الجرداء. (ع).

أنا فيه، وَأَوْقَفْتِني بِحِكْمَتِك على الهلاكِ الذي وقعتُ فيه.

فالآنَ أستغفرُ اللّهَ مِمَّا مَضَىٰ وأتوبُ إليه، وأسألُهُ الإعانةَ على سُلوكِ مرضاتِهِ، وأفزعُ إليه أن يَخْتِمَ بالصالحاتِ أعمالي، وأحمدُ اللّهُ أوَلاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، فإنّه مولى النِّعَم، دافعُ النِّقَم، غزيرُ الجودِ والكَرَمِ.

انتَهىٰ

وصلّى اللّهُ على سيِّدنا محمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


انتصار الحق

